الفصل الثالث

العالم الإسلامى بين غيره من العوالم

عرفنا موقع العالم الإسلامى جغرافيا. وعرفنا تقسيم العالم فقهيا. والآن نبحث فى تقسيم العالم سياسيا: يتنازع السلطة السياسية على العالم معسكران.

(أ) المعسكر الرأسمالى: ولئن كانت الرأسمالية مذهبًا اقتصاديا، فهو يجد الحماية السياسية بحيث صار علما على معسكر بعينه، تسوده الرأسمالية مذهبًا اقتصاديا، وتسوده الديمقراطية من الناحية السياسية، وتسوده الوجودية ومذاهب التحرر من الناحية الاجتماعية. وإلى منتصف هذا القرن – تقريبًا – كانت المملكة المتحدة تتربع على عرش الزعامة لهذا المعسكر، لكنها منذ ذلك الحين، وبناء على رغبتها، طلبت من الولايات المتحدة الأمريكية أن ترث نفوذها فى الشرق الأدنى ومن ثم قامت الولايات المتحدة بإرث ما سمحت به بريطانيا، وكذلك ما لم تسمح به، وورثت فى النهاية زعامة هذا المعسكر. وقد ناصرت الولايات المتحدة فى الظاهر حركات التحرر، وأخفت بذلك تسللها إلى هذه المناطق تفرض عليها الاستعمار الجديد الذى راحت تفرضه فى مناطق كثيرة عن طريق «صناعة الزعماء» وصناعة الانقلابات وصناعة الشعارات. وبذا امتد نفوذ «المخابرات المركزية الأمريكية» ومعها البنتاجون (مبنى وزارة الحربية الأمريكية) وأخيرًا البيت الأبيض الأمريكى.. امتد إلى مساحات واسعة خارج ما يسمى بالمعسكر الرأسمالى، ومن التناقض (الظاهرى) أن بعض المساحات ترفع شعار الاشتراكية، وتتبع سياسيا المعسكر الرأسمالى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) المعسكر الاشتراكى: ونعنى بذلك المعسكر الذى يتخذ الاشتراكية العلمية منهجًا اقتصاديًا، وقد صار هذا الشعار الاقتصادى رمزًا لهذا المعسكر مميزًا له عن المعسكر الأول. وهو يتخذ دكتاتورية البروليتاريا شعارًا سياسيًّا، كما يتخذ التحلل الأخلاقى والأسرى شعارًا اجتماعيًّا. وهو إن بدا متناقضا مع المعسكر الأول، إلا أن الحقيقة غير ذلك.. فالمسيطرون على المعسكر الأول من اليهود، وهم كذلك مسيطرون على الثانى - كما سنشير بإذن الله - هذا من ناحية الحقيقة وحتى من ناحية الظاهر فإن المعسكرين يقتربان.. فالمعسكر الرأسمالى يطعم رأسماليته بشىء كبير من الاشتراكية، مثل تأميم الصناعات الكبيرة وقوانين حماية العمال وتحديد ساعات العمل.. والمعسكر الاشتراكى يطعم اشتراكيته بشىء كبير من الرأسمالية مثل إدخال نظام الحوافز والسماح بالملكيات الصغيرة، والسماح بالنظام الأسرى.. إلخ. هذا من الناحية الاقتصادية ومن الناحية السياسية الخارجية فمنذ أزمة كوبا سنة ١٩٦٢ بدأت سياسة الوفاق وهى شبيهة بما اتفقت عليه إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ من اتفاق ودى.. ونعتقد أنه وفقًا لسياسة الوفاق تم توزيع مناطق النفوذ بين القوتين العظميين.

كذلك تم التقارب بين الولايات المتحدة والمارد الشيوعى الجديد (الصين) بقدر ما تم التباعد بين الأخيرة وبين الاتحاد السوفييتى وبينما تعيش الرأسمالية شيخوختها، وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن الشيوعية هى الوريث الطبيعى للرأسمالية لولا السقوط الذريع والمفاجئ للشيوعية فى معاقلها، ثم فى معقلها الأصلى (الاتحاد السوفييتى) وتفككه إلى دول ودويلات.. أعلنت عن رفض الشيوعية!

(جـ) المعسكر الإسلامى: ونحن نضعه معسكرًا ثالثًا إلى جوار المعسكرين العظمين باعتبار ما سيكون وهو قريب بإذن الله.. وباعتبار ما كان وهو قريب كذلك لم يمض عليه إلا قرابة نصف قرن. لقد كان العالم الإسلامى يوما هو المعسكر الوحيد الذى لا يناطحه معسكر آخر ولسوف يكون كذلك بإذن الله..

وهو بمقتضى عدده، وموقعه، وطاقاته، وخيراته، يمكن، بل ينبغى أن يأخذ المقام الأول..

وما يعتريه اليوم من ضعف وتفكك هو وليد مؤامرات المعسكرين ومن وراءهما، وهو بحول الله تعالى وقوته، ثم يقظة أبنائه، ثم بمقتضى سنن الله فى كونه.. سوف ينهض وسوف يعود. وعلى أعداء الإسلام أن يختاروا لأنفسهم ليوم قريب: إما أن يكفوا عن حربنا فى ديننا، وعن إخراجنا من ديارنا.. ليكونوا فى مقام الأصدقاء وإلا فليختاروا لأنفسهم موقع الأعداء ويومئذ سوف ننفذ فيهم قول الله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: ٣٦]. ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ [الممتحنة: ٨].

ويشير البعض بعد ذلك إلى معسكر أو مجتمع وثنى[١]. لكننا لا نجد له وجوداً سياسيا، ومادام التقسيم أساسه سياسى لا ينبغى أن يبقى المجتمع الوثنى معسكرا مستقلا - والله أعلم.

* * *

(١) الأستاذ محيى الدين القضمانى فى مذكرة حاضر العالم الإسلامى وضع تحته الديانات الهندوسية والبوذية والسيخ والكنفوشية والطوطمية.